

فالقصيدة العربية عاشت فى تطور مستمر وتجديد متصل ، ولكن الواقع الفنى الذى يؤكد تاريخ الشعر العربى أن هذه الحركات التجديدية المتطورة لم تقطع صلتها بالقديم ، ولم تبت حبالها من حباله ، ولم تحاول أن تبدد الرصيد الضخم الذى خلفه لنا أسلافنا الكبار فى خزائن التاريخ ، وإنما أقامت تجديدها على جسور قوية ثابتة تصل بينها وبين هذا التراث الذى ظل محتفظاً بأسرار الحياة على ضفاف نهر الشعر الذى لم يتوقف عن العطاء الخصب منذ بدأ تدفقه حتى اليوم ، ولعل هذا هو الذى جعل شعراءنا المجددين - وهم كثير فى تاريخ شعرنا العربى - يؤمنون جميعاً بأن القديم هو بداية الجديد ، وأن الأصول الفنية الثابتة فيه هى الأرض الصلبة التى لا يقوم بناؤها الجديد إلا عليها ، والتى يمكنهم أن يستثمروا فوقها الرصيد الضخم الذى خلفه لهم أسلافهم ليتنفخوا بكل ما يمكن الانتفاع به منه ، وهكذا ظل بناء الشعر الذى رفع قواعده الرواد الأوائل يرتفع مع رفاق القافلة دون أن يتعرض للانهياب على أساس هذا الإيمان بسلامة القاعدة التى قام عليها بناء شعرنا العربى قامت كل حركات التجديد الناجحة فيه ، ولم يخطئ النقاد العرب القدماء حين كانوا يوصون ناشئة الشعراء بالألا يحاولوا ارتقاء السلم الفنى الصعب الطويل حتى يحفظوا كل ما يستطيعون حفظه من الشعر القديم ، حتى يكون عملهم الفنى قائماً على أساس من الوعى الدقيق لكل أصوله ومقوماته التى لم تحتفظ بهما الحياة إلا لأنها صالحة للحياة ، ولكن لم يفهم أحد من شعرائنا الكبار الذين غيروا مجرى النهر بما شقوه له من مسالك جديدة أن الأصالة معناها الفناء فى القديم أو منحه حق السيطرة على أعمالهم الفنية ولا أن التجديد معناه إلغاء القديم ، أو تحويله إلى متحف من متاحف الآثار ، وإنما فهموا أن الطريق الصحيح للتجديد هو الموازنة الدقيقة الذكية بين القديم والجديد ، والتى يقف فيها القديم موقف الرقابة والتوجيه لاموقف السيطرة والتحكم ، وبهذا كان الجديد دائماً ينطلق من حيث انتهى القديم منتفعاً بكل ما حققه من تطور ، حتى يتصل الطريق ولا نكون كمن يبدأ من فراغ ، وكأنما قد ذهبت كل جهود